بقلم: أنطوان شلحت

مئة عام على وفاته

هرتسل: ما وراء «الأسطورة»

ثمة أساطير عديدة جرى نسجها، من حيث المبنى والمعنى، حول شخصية ثيودور (بنيامين زئيف) هرتسل (١٨٦٠-١٩٠٤)، مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية وأحد أبرز الزعماء الصهيونيين وأوسعهم نشاطاً، والذي احتفل مؤخراً بمرور قرن على وفاته. وليس أبسط هذه الأساطير أن «هرتسل»، في أوج ظهوره السياسي وسياقة حضوره الفكري زعيماً للحركة الصهيونية، جسّد أكثر شيء منحى «اليهودي الجديد» السائر في وجهة موازية ومناقضة لوجهة «اليهودي القديم»، الغيتوي. بالإضافة إلى ذلك كان فارع القامة، قوي البنية، يتمتع بصفات رجل يشعّ فحولةً، ما يدجّج أحد أهم الدلائل الحيّة على دحض أفكار تنميطية تنسب اليهود إلى خصائص الوهن والرخاوة والخروج عن سواء الخلقة وسلامة البنية، تنفخ فيها وتشعلها «لاسامية» تتميز بالحصرية في اليهود دون غيرهم من سائر الأعراق السامية [١].

هذه الأساطير كانت ترمي، من باب أوليّ لكن عظيم الأهمية، إلى تدعيم التصوّر الذاتي الصهيوني. ولهذا لا ينفك النقد المسدّد إلى مختلف المحاولات والاجتهادات التي تظهر في حقل تفنيد هذه الأساطير شديدًا للغاية. زد على ذلك ان الهدف من هذا النقد الشديد ليس فتح الباب للنقاش وإنما تصفيته تماماً. من هنا يرى البعض أن ذلك النقد كان أقرب إلى النفي التام، يعكس مخاوف حياتية عميقة من أية محاولة للاستئناف على التصور الذاتي الصهيوني [٢].

والنفي التام لاجتهادات تفنيد الأساطير أو غربلتها مما علق بها من أباطيل، على ما يكمنه من مخاوف حياتية عميقة، اتخذ شكلين من المقاربات في كل ما هو مختص بالأبحاث البيوغرافية والدراسات الهستوريوغرافية المتعلقة بهرتسل والأساطير حول شخصيته:

الأول: شكل المواجهة المباشرة مع هذه الاجتهادات، إما عن طريق

الرقابة أو عن طريق عدم الالتفات إلى وجودها جريًا على نسق «القتل بالإهمال»!. يكفي للتدليل على هذا الشكل أن نشير إلى أن «إيندكس» (لائحة) الكتب التي فرضت الرقابة العسكرية في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ الحظر عليها يشمل كتاباً يعرض، من وجهة نظر انتقادية، لسيرة حياة «هرتسل» من تأليف ديسموند ستيوارت (٣). وثمة كتاب آخر حول سيرة حياة «هرتسل» بعنوان «متاهة المنفى: حياة ثيودور هرتسل» من تأليف إرنست باول لم يحظَ بترجمة كاملة إلى اللغة العبرية إلا بعد سبع سنوات على صدوره بلغته الأصلية، الإنجليزية، في سنة ١٩٩٠.

يؤكد إرنست باول في هذا الكتاب، ضمن ما يؤكده من أمور، أنّ «هرتسل» اختار عن وعي أن يتعامى عن الواقع موهمًا نفسه بأنّ فلسطين، أو أرض اسرائيل، كانت تعاني فراغًا ديمغرافيًا وثقافيًا. ولهذا، مثلاً، لم تبدر عنه أدنى التفاتة أو تعليق على التقارير التي رفعها ليو موتسكين [٤] إلى المؤتمر الصهيوني الثاني المنعقد في سنة ١٨٩٨ حول الكثافة السكانية للجماهير العربية في فلسطين. وفي السنة نفسها (١٨٩٨) قام «هرتسل» ذاته بجولة ميدانية في فلسطين سافر خلالها عبر عشرات القرى العربية، غير أنه لم يلمح مواطني البلاد الأصليين لأنه لم يرغب بذلك، حسب رأي باول.

ويتبنى باول الرأي المناقض من منطلق كون «هرتسل» لا يقل طفولية عن زوجته. كما كان «مكبوتاً من ناحية عاطفية، انطوائيًا بصورة باثولوجية، مصابًا بعوائق جنسية.

من ناحية أخرى يتوقف باول، بقدر مناسب من التفصيل، عند الخصائص التي عرف «هرتسل» بالتخلف فيها أو بالتجرد منها. وهي الخصائص المتعلقة بالخصال الإنسانية عامة، ومنها الخصيصة التي تكمن وراء زواجه الفاشل من يوليا نشاور والتي يحاول باول أن يتفحصها ويغوص على خباياها من وجهة نظر يوليا نفسها. ومن تحصيل حاصل وجهة النظر هذه ترجيح الرأي الذاهب إلى أن المسؤولية جراء فشل هذا الزواج يتحمل «هرتسل» نفسه أوزارها بمقدار ما تتحملها زوجته، وذلك خلافًا للرأي الذي جرى ترويجه بصورة محسوبة وألقى تبعة الفشل كليًا على يوليا الموصوفة، في نصوصه وصياغاته المختلفة، بأنها هستيرية ومبذرة! ويتبنى باول الرأي المناقض من منطلق كون «هرتسل» لا يقل طفولية عن زوجته. كما كان «مكبوتاً من ناحية عاطفية، انطوائيًا بصورة باثولوجية، مصابًا بعوائق جنسية. وبإيجاز كان شخصًا مغتربًا عن الحميمية العاطفية أو الجنسية، ولهذا أمسى زوجاً أو أباً لا قبل له بممارسة مثل هذه الحميمية» [٥].

الثاني – شكل إسقاط المشروعية عن هذه الاجتهادات والتشكيك بنوايا أصحابها. ويجدر، في هذا الصدد، ملاحظة أن أريبه أهاروني يصنف أصحاب هذه الاجتهادات ـ من طراز إرنست باول ـ ضمن رعيل«قتلة الأساطير». وهو المصطلح الذي استخدمه للمرة الأولى الشاعر ابراهام شلونسكي [٦].

هذا الرعيل يعتبر نفسه، أنطولوجيًا، منضويًا تحت تيار «ما بعد الصهيونية« (بوست تسيونيزم)، غير أنه في قراءة أهاروني رعيل حاد عن جادة الصواب لجهة تحطيم كل الأساطير ووقائع الأعمال البطولية وتبديدها شذر مذر. ولهذا فإن أهاروني يدعو إلى تثبيت ما كتبه محرر مجلة «هدور» (الجيل) العبرية، دافيد فريشمان، في العدد رقم (٢١) من المجلة الصادر في سنة ١٩٠٤، في تأبين «هرتسل» عند وفاته، في الصفحات الأولى من جميع الكتب الدراسية حول تاريخ الصهيونية. وفي ما يقوله أهاروني تفسير لأثر الأسطورة على هندسة سيكولوجية المتلقين. فلما كانت الأسطورة، بطبيعتها، في منأى عن الفاعلية التفسيرية فلا يبقى أمام المتلقي الا القبول أو الرفض دون المعقولية ودون التعرض لأي من المجالات التي يحدها القبول من جهة والرفض من جهة أخرى.

وتعابير فريشمان حول«القتلة» مستلة من ترسانة الاتهامات الجاهزة نفسها، الإطلاقية في أحكامها، التي التجأ اليها الكاتب أهارون ميغد في هجومه على ظاهرة «المؤرخين الجدد» [٧]. والتجأ، ضمن من التجأ إليها من بعده، أمنون روبنشطاين، وزير المعارف والثقافة والرياضة الاسرائيلي الأسبق، الذي ادعى بأنّ وجهة المؤرخين الجدد (وعلماء الاجتماع الانتقاديين وهؤلاء جميعًا يشكلون، كما هو معروف، عماد تيار «ما بعد الصهيونية») هي «دفن» الصهيونية وعرضها «باعتبارها حركة كولونيالية وعنصرية في جوهرها، وتحميلها كل خطايا القوموية الظلامية وذنوبها، حتى من غير أن يبدوا حيالها ذرة من التعاطف والتفاهم اللذين يبديهما أفراد حركات اليسار إزاء حركات التحرر القومي، إضافة إلى عرض قيام إسرائيل ذاته باعتباره صنيع إثم وجور» [٨].

هرتسل و نماذج من الكتابة التاريخية العربية

الكتابة التاريخية العربية حول ثيودور هرتسل، في النماذج التي نستعين بها لغرض هذه المقالة، تتسم عادة بدلالة «الجفاف المفهومي للتاريخ الحولي«. وهي دلالة مستقرضة من المؤرخ الدكتور عزيز العظمة

(٩). هذا الجفاف نتجت عنه، بطبيعة الحال، رتابة معهودة توسلت بصحة النقل أكثر من الاعتماد على الغرابة وعدم المألوفية وانحرافات الحقائق المعروفة، التي يراها جلّ الباحثين عن أنها انزياح عن «سويّة التأريخ العلمي»، حسبما يقول العظمة.

وليست المعلومات، التي أوردها أصحاب اجتهادات تفنيد الأساطير حول شخصية «هرتسل»، بالجديدة كل الجدة. بل إن عددًا من الدارسين العرب أبدى الملاحظات حول قسم من هذه المعلومات. بيد أن الملاحظات، التي جاء بها هؤلاء الدارسون، لم تتعدَ إطار المواضع المتفرقة التي أتت فيها ولم تؤخذ على محمل التحليل والاستخلاص بالكلية المطلوبة.

تحت مادة «اللاسامية» (معاداة السامية) جاء في «موسوعة السياسة» ما يلي حول «هرتسل»:

«يقال إن ثيودور هرتسل بدأ يعمل للفكرة الصهيونية أثناء تغطيته تطورات قضية درايفوس لحساب جريدته النمساوية وإنه اختار الدفاع عن فكرة تجميع اليهود في دولة قوية عندما اتضح له فشل عملية الاندماج. والواقع أن الصهيونية نبتت في نفس الأجواء العنصرية التي خلقت العداء للسامية. وهي تقبل مقولات اللاساميين في تحديد من هو يهودي. وفي استحالة اندماج اليهود، ذهب هرتسل إلى القول في يومياته إن اليهودي يحمل معه جرثومة اللاسامية أينما ذهب، وإن الحل هو كما يقول أعداء السامية يتمثل في رحيل هؤلاء اليهود عن المجتمعات الغربية وتكوين وطن خاص بهم. هذا يعني أنّ الصهيونية مثل اللاسامية لا تعتبر اليهود مواطنين في دولهم. ولذلك فقد رفض العديد من اليهود الفكرة الصهيونية دون أن يكون هذا الموقف عائدًا إلى إطلاعهم على حقيقة الاستيطان اليهودي في فلسطين. إلا أن نمو اللاسامية جعل المزيد من اليهود يتقبلون الصهيونية، مما يعني أن ثمة توافقًا بين هاتين الفكرتين. وخير دليل على ذلك، التأييد الذي تحظى به إسرائيل في الأوساط اللاسامية تقليديًا. فهذه الأوساط هي أيضاً عنصرية وترى في إسرائيل قطعة من أوروبا في المشرق العربي. والصهيونية تتبنى هذه الفكرة وتقدم نفسها بوصفها حركة أوروبية. وإذا كانت قد نمت في الأجواء اللاسامية، فهي قد ولدت أيضًا في عصر الاستعمار» (١٠).

وتحت مادة «هرتسل، ثيودور (١٨٦٠-١٩٠٤)» جاء في الموسوعة نفسها ما يلي:

«مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة... ولد في مدينة بودابست

عام ١٨٦٠وانتقل إلى فيينا واستقر فيها، واشتغل بالصحافة والتحق بجريدة «نويه فرايه بريسي» بين ١٨٩١-١٨٩٥. وفي العام التالي وضع مؤلفًا باللغة الألمانية باسم «الدولة اليهودية» (الاسم الدقيق لهذا المؤلف هو «دولة اليهود»- أ.ش) ضمّنه القواعد التي تقوم عليها الصهيونية في صورتها الجديدة التي تهدف إلى جمع اليهود في دولة خالصة لهم... بدأ هرتسل نشاطه بالدعوة إلى عقد مؤتمر يضم ممثلين لليهودية الأوروبية في مدينة بازل السويسرية في عام ١٨٩٧، وانتخب هرتسل رئيسًا للمؤتمر فرئيسًا للمنظمة الصهيونية. وأصدر المؤتمر ما عُرف باسم «برنامج بازل» الذي تضمن محاولة الحصول على موافقة دولية بمشروعية الهجرة اليهودية الجماعية إلى فلسطين لبناء دولة يهودية خالصة» (١١).

لكن يبقى النموذج الأبرز لإيراد الملاحظات السالفة متمثلاً في ما جاء به الباحث صبري جريس ضمن كتابه الاعتباري «تاريخ الصهيونية».

يؤكد الباحث أن «هرتسل»، من حيث خلفيته أو ثقافته أو تطلعاته، لا تبدو عليه أية بوادر يمكن أن يستدل منها على أنه قد يصبح يومًا ما صهيونيًا، أو قد يهتم بالحركة الصهيونية. بل إنّ العكس هو الصحيح.

فالرجل كان فعلاً إبنًا لعائلة يهودية تحافظ على «قليل من التقاليد الدينية». ووالده كان على علاقة واهية مع حركة «هواة صهيون» وساعد ابنه، أحيانًا، في نشاطه الصهيوني. بينما كان الجدّ يهوديًا متدينًا. ولكن «هرتسل» نفسه، مثل العديد من الشباب اليهود من أبناء جيله الذين نشأوا في الدول الغربية التي منحت الحريات المدنية لليهود، ابتعد عن اليهودية التقليدية وتناساها، حتى اضطر عندما قرر مجاملة حاخامي مدينة بازل وتأدية الصلاة في كنيس المدينة، قبيل افتتاح المؤتمر الصهيوني الأول، إلى تعلم الكلمات العبرية للصلاة قبل إقامتها بقليل. ويعلق «هرتسل» على ذلك في يومياته بقوله إن تلك الكلمات العبرية «ضغطت عليّ أكثر من خطابي الافتتاح والاختتام (في المؤتمر)... وأكثر من إدارة الجلسات بأسرها». كذلك كان «هرتسل» متمسكاً بثقافته الألمانية. وفي إحدى جلسات المؤتمر الصهيوني الثالث (١٨٩٩) عندما احتدم النقاش حول موقف المنظمة الصهيونية من «الثقافة اليهودية» تساءل علنًا بلهجة لا تخفي نغمة السخرية: «ما هي الثقافة اليهودية؟». ولاحظ يوسف كلاوزنر أنّ كتابات «هرتسل» وخطبه لا تذكر شيئًا عن الثقافة اليهودية. ولا تأتي، مثلاً، على ذكر الحاخامين موسى بن ميمون (الرمبام) أو يهودا هليفي، وهما من كبار علماء اليهودية، ولا حتى يوسف بن متتياهو، المعروف لدى المسيحيين. يضاف الى ذلك أنّ «هرتسل»، عند بدء عمله الصهيوني، لم يكن أيضًا على اطلاع حسن على النشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. وحتى لم يقرأ أشهر الكتب الصهيونية التي صدرت حتى ذلك الوقت. فقد سمع باسم ليو بينسكر، مثلاً، خلال محادثة مع مدير شركة «يكا» الذي أرسل له كتيب «التحرير الذاتي» والذي لم يكمل «هرتسل» قراءته الا بعد نشر كتابه «دولة اليهود» (١٢). بينما بدأ بقراءة كتاب موشيه هس «روما والقدس» (١٣) أثناء زيارته إلى فلسطين سنة ١٨٩٨ وأنهاه في أيار (مايو) ١٩٠١ (١٤).

وفي إحدى جلسات المؤتمر الصهيوني الثالث (١٨٩٩) عندما احتدم النقاش حول موقف المنظمة الصهيونية من «الثقافة اليهودية» تساءل علنًا بلهجة لا تخفي نغمة السخرية: «ما هي الثقافة اليهودية؟».

نجد هنا أن النبرة التقريرية هي ما يغلب على أسلوب الباحث. وهذه النبرة تعبّر عن نفسها في كتابة تتميز بقدر كبير من الجفاف، بينما كان في إمكانه أن يقدّم هذه الملاحظات في شكل أكثر إحكامًا، بناءً وهندسة واستحصالاً.

الشخص وراء الأسطورة

لغرض توسيع دائرة الضوء حول «هرتسل» الشخص الواقف وراء الأسطورة، بضوابطها المألوفة التي أتينا على ذكرها في سياقة السطور السالفة، نستعين بدراستين ظهرتا في السنوات الأخيرة: الدراسة الأولى للبروفيسور روبرت ويستريخ (١٥). والدراسة الثانية للبروفيسور دانيئيل بويارين (١٦).

والواقع أنه سبقت هاتين الدراستين اجتهادات متفرقة أشارت، وإن لم تتميز بالمنهجية، إلى الانحرافات التي تغاضت عنها الحقائق المألوفة فيما يختص بهرتسل. وانطلقت من هذه الانحرافات بما هي معطيات رأى أصحاب الاجتهادات ضرورة الأخذ بها لأسباب لا تمُت بصلة إلى دراسة بُناها وكيف تبدّت في نتائجها الناضجة.

من هذه الاجتهادات، مثلاً، المسلسل الوثائقي الدرامي باسم «هرتسل» الذي بثه التلفزيون الإسرائيلي على ثلاث حلقات متتالية في شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٧، ولقد رأى الناقد الفني مئير شنيتسر أنّ هذا المسلسل بمضمونه ومآله انطوى على مقولة تقويضية حيال الأساطير المنسوجة حول «هرتسل»، التي رأى فيها، هو أيضًا، قصصًا أكثر من كونها تاريخاً (١٧).

وهذا التقويض هو تحصيل حاصل تناول شخص «هرتسل» حسبما هو في الفعل، شخصاً محبطاً ومصاباً بهوس العظمة (الخنزوانية) ومريضاً بالسفلس وغريب الأطوار ومتنكرًا لزوجته وأولاده وأسرته. بيد أن هذا التناول، الذي يتّبعه المسلسل، لا يتعدّى مجال التوصيف الصرف إلى أي مجال آخر، مثل العلاقة بين كل هذه المواصفات وبين مشروعه الصهيوني أو حتى الإلماح إلى ضرورة وجود علاقة كهذه، بل هو يقتصر على التسجيل.

أما عاموس كينان، وهو مثالنا الثاني على الاجتهادات التي تروم تقديم «هرتسل» الشخص الواقف وراء الأسطورة، فإنه ينفي عن صاحب «دولة اليهود» الوعي اليقظ بالزمان والمكان، حيث أنه لم يكن يمتلك أي مفهوم ولا حتى أي ظل لمفهوم حيال ماهية الكولونيالية والامبريالية ولم يستشرف مآلهما بصورة تتيح له قياس الفترة الزمنية المتبقية لانتهاء عصرهما (١٨).

إتكاءً على ذلك يمكننا القول إن منحى «هرتسل» ـ باعتباره من المثقفين ـ سار في وجهة مقابلة ومناقضة لمنحى «المثقف العضوي»

أنّ علاقة «هرتسل» مع أمه تميزت بقدر ما من «العقدة الأوديبيـة» التـي ظلت تلازمه في كبره وأفضت إلى علاقة تجاوز ما كان مألوفًا من علاقات كهذه لدى عائلات يهودية أخرى ذات خلفية ومحتد مماثلين. وقـد ظلّ يذهب لتناول طعام الغداء عند أمه يوميًا حتى بعد زواجه، وهي بدورها تدخلت في الشؤون الخاصة لحياته حتى التفصيل الأخير

(بتعبير أنطونيو غرامشي)، أي ذلك الذي ينشأ في ظرف اجتماعي معين ثم يتبلور وعيه بالواقع التاريخي الذي يحياه فيعود إلى أرضية مشيّدة يؤدي فيها دورًا فاعلاً في تغيير الواقع نحو الأفضل. وهذا ما تثبته، أيضاً، دراستا «ويستريخ» و«بويارين».

دراسة «ويستريخ»، المحاضر في قسم «تاريخ شعب إسرائيل» في الجامعة العبرية في القدس، هي محصلة بحث متصل منذ ما ينيف عن عشرين عامًا حول شخصية الحالم بـ «دولة اليهود» [١٩]. أما «بويارين» فهو محاضر في «كاتدرائية الثقافة التلمودية» في جامعة بركلي، كاليفورنيا [٢٠].

الخلاصة الرئيسة لدراسة الأول هي أن شخصية «هرتسل» مغايرة تماماً للمواصفات الطاهرة التي جرى غرسها في وعي ومنبت رؤوس خريجي جهاز التعليم الإسرائيلي ذي الغايات الصهيونية الصرف.

أما المواصفات المضادة، المتوازية والمتناقضة، التي احتشدت بها شخصية «هرتسل» فعلاً ويقول بها هذان الباحثان فإنها مندرجة في العناوين البارزة التالية:

١- كان «هرتسل» مصابًا بمرض جنسي ـ مرض السفلس، على الأغلب ـ منذ فترة دراسته الجامعية. وانضاف هذا المرض إلى علاقة اتسمت بالتبعية المطلقة مع امه «جانيت» ليؤثرا معًا على تفاقم المشاكل التي واجهها خلال زواجه وفي بناء أسرته وعلاقاته مع أولاده. وهناك إلماح صريح، بدرَ أيضاً عن باحثين آخرين سوى الاثنين المذكورين سالفًا، إلى أنّ علاقة «هرتسل» مع أمه تميزت بقدر ما من «العقدة الأوديبية» التي ظلت تلازمه في كبره وأفضت إلى علاقة تجاوز ما كان مألوفًا من علاقات كهذه لدى عائلات يهودية أخرى ذات خلفية ومحتد مماثلين. وقد ظلّ يذهب لتناول طعام الغداء عند أمه يوميًا حتى بعد زواجه، وهي بدورها تدخلت في الشؤون الخاصة لحياته حتى التفصيل الأخير. وتميل غالبية الأبحاث المتداولة، في هذه النقطة بالذات، إلى توصيف زوجة «هرتسل»، يوليا نشاور، بأنها عاشت حياتها تعاني مشاكل نفسية مستعصية انتقلت بالوراثة منها إلى أولادها منه وأدت بهم إلى نهايات مفجعة: الابن البكر هانس، الذي حلم «هرتسل» بأن يكون مكملاً لطريقه في قيادة الحركة الصهيونية، اعتنق المسيحية ثم عاد إلى حضن اليهودية وسرعان ما وضع بعد ذلك حدًا لحياته بالانتحار. أما بنتاهما فقد عاشت الأولى منهما، باولينا، جُلّ حياتها في مشفى للمرضى النفسيين. ولاقت الثانية، مرغريتا، حتفها سنة ١٩٤٣ في أحد معسكرات الإبادة النازية.

ويعترض «ويستريخ» على توصيف هذه الأبحاث، ويدعم ذلك بافتراض رئيس يقول إن الهستوريوغرافيا الصهيونية زوّرت الحقيقة وألقت تبعة كل هذه الانحرافات على كاهل يوليا لكي تسوّغ البيوغرافيا التراجيدية للعائلة ولكي تقي «هرتسل» نفسه من أي ذنب أو مسؤولية!

٢- كان «هرتسل» محباً كبيراً للثقافة واللغة الألمانية. ومحبته هذه قادته، في حياته المبكرة، إلى اعتناق الأيديولوجية الألمانية الشاملة. وكان، لعدة سنوات، أحد الأعضاء الناشطين في رابطة ألمانية قوموية للطلبة الجامعيين ترك صفوفها فقط على أثر ما لمسه من لاسامية فظّة لدى زملائه في عضوية هذه الرابطة. ويعزى إصطفاف «هرتسل» في إطار القومية الألمانية إلى حقيقة كونه دخيلاً مزدوجًا، حيث أنه مهاجر إلى فيينا من بودابست ويهودي أيضاً. ولهذا فإنه تعلّق بافتراض وهمي حَسِب، بموجبه، أن اصطفافه هذا سيسهم في جعله جزءًا غير منفصل من جماعة اجتماعية وكينونة قومية ـ حضارية.

تقودنا هذه الخصيصة إلى انحراف آخر عن الحقائق المألوفة، التي جرى فيما مضى تعريف «هرتسل» في دوائرها. وهو الانحراف المسمى «خُلُق المداورة» المميز لأولئك الذين يدورون مع الفرص، على ما في هذا الخُلُق من رعونة لا ترضيها إلاّ ما في كل فرصة من تهدئة كاذبة لهياجها

... فجأت تلقت شعبية «هرتسل» ضربة مروعة. ففي أخريات القرن (التاسع عشر- أ.ش) بدأت تسري شائعة مؤداها أنّ هذا الشخص، الشديد الحُسن والارستقراطية، فنان الحديث العذب وصاحب اللسان الذرب، كتب من غير أي إنذار مسبق مقالةً غبيّة طالب فيها كل اليهود بأن يغادروا بيوتهم وفيلاتهم وأعمالهم ومكاتبهم وبإيجاز أن يهاجروا، بشيبهم وأطفالهم، إلى فلسطين لكي ينشئوا أمة هناك.

أو تحريض مفتعل لشططها. وهو الخُلُق نفسه الذي سيؤدي به فيما بعد إلى ميول ونزعات، عدا القوموية الجامحة، عبّرت أكثر شيء عن سعيه إلى إشباع هوسه للعظمة وإكفاء «غرور الصفوة» من أمثاله.

وبخصوص هذا الاعتزاز المفرط بألمانيته نقل دانيئيل بويارين، في سبيل توكيد ذلك، عن «هرتسل» ذاته تصريحًا يقول فيه:

أنا يهودي ناطق بالألمانية من هنغاريا. وليس في مقدوري أن أكون إلا إنسانًا ألمانيًا فحسب. الآن لا يعترفون بكوني ألمانيًا لكن ذلك سيتم عندما نصل إلى هناك. وعبر الصهيونية سيتعلم اليهود أن يودوا، مرة أخرى، ألمانيا ذاتها التي تعلقت بها قلوبنا رغمًا عن كل شيء [٢١].

جملة «عندما نصل إلى هناك» (المقصود بهناك ــ «دولة اليهود») يرى «بويارين» أنها تحمل مدلولات تفسّر الصهيونية باعتبارها علاقة داخلية في المشروع الاستعماري الأوروبي، وهذا ما سنتطرق إليه في سياق آخر.

لعل الرأي الذي يقول إنّ الفكرة الصهيونية بدأت تراود «هرتسل» في أثناء تغطيته تطورات «قضية درايفوس» في فرنسا لحساب جريدته النمساوية هو في طليعة الآراء التي يجمع حولها الباحثون. غير أن البروفيسور شلومو أفنيري يرى، في بحث جديد، أن ما أثار حنق «هرتسل» في مجمل ما تضمنته قضية درايفوس هو جو «اللينش» الشعبي الذي طغى على المحاكمة، وثوى في طياته جوًا من الهستيريا القوموية المعادية لألمانيا تغذى من هزيمة فرنسا في حرب ١٨٧٠-١٨٧١ (خاضها بسمارك من أجل إنجاز الوحدة الألمانية)- [٢٢].

ونجد مصداقًا لهذا الإدعاء في «يوميات هرتسل» ضمن الصفحات التي يتحدث فيها عن فترة مكوثه في باريس (١٨٩١-١٨٩٥) حيث يقول:

في باريس انجررت عن غير قصد ــ مراقبًا على الأقل ــ إلى السياسة. تأملت ملياً في القوى التي تحكم العالم. وشاهدت منظرًا اسمه ــ الجمهور [٢٣].

ويؤكد أفنيري أنه في آلاف الصفحات التي تقع فيها «يوميات هرتسل»، بين السنوات ١٨٩٥-١٩٠٤، لا يرد ذكر إسم درايفوس سوى مرات معدودات، ورغم ذلك يرد فقط على الماشي.

مصاب بعقد نفسية لا حصر لها !

٣- غرق «هرتسل» حتى أذنيه في عقد نفسية من الصعب حصرها. وإن من ينعم النظر في هذه العقد النفسية ــ يقول «ويستريخ» ــ يستصعب أن يفهم ويستوعب «كيف أفلح هذا الشخص بأن ينهض كل صباح من فراشه» لممارسة حياته العادية [٢٤]. حتى أنه نفسه عندما بدأ يهجس بالفكرة الصهيونية كتب في يومياته، سنة ١٨٩٥، يقول إنه يشعر بأنه بدأ يفقد صوابه.

هذا «التصور الذاتي» نفسه خلعه عليه أيضًا ستيفان زفايغ، أحد الكتاب النمساويين اليهود من مجايلي «هرتسل»، عندما كتب يقول:

... فجأت تلقت شعبية «هرتسل» ضربة مروعة. ففي أخريات القرن (التاسع عشر- أ.ش) بدأت تسري شائعة مؤداها أنّ هذا الشخص، الشديد الحُسن والارستقراطية، فنان الحديث العذب وصاحب اللسان الذرب، كتب من غير أي إنذار مسبق مقالةً غبيّة طالب فيها كل اليهود بأن يغادروا بيوتهم وفيلاتهم وأعمالهم ومكاتبهم وبإيجاز أن يهاجروا، بشيبهم وأطفالهم، إلى فلسطين لكي ينشئوا أمة هناك [٢٥].

موبوء بالكراهية الذاتية !

٤- على النقيض من الأبحاث التقليدية التي صرفت جلّ جهدها في توكيد أن تعامل «هرتسل» مع «المسألة اليهودية» ومقاربته للاسامية

انطلقت، أكثر شيء، من رؤية نرجسية تمجيدية متمركزة حول الذات اليهودية باعتبارها متحليةً بخصائص حصرية عالية، ترى الأبحاث الجديدة أنّ «هرتسل» كان موبوءاً بداء الكراهية الذاتية لأصله اليهودي. وتمثلت هذه الكراهية الذاتية لديه، ضمن أشياء أخرى، في تذويت تنميطات كانت مألوفة في عصره حيال اليهود، مثل الادعاءات بأنهم قذرون ودونيون وغير حضاريين ومستغلون وأجلاف وجشعون، وما إلى ذلك من توصيفات تنميطية مقولبة.

وعبر عن هذه الكراهية الذاتية من خلال عملين:

* الأول- اقترح حلّ موجة اللاسامية باعتناق اليهود، جميعًا، للديانة المسيحية.

في هذا الصدد كتب «هرتسل» في يومياته حول مخططه (من سنة ١٨٩٣) الرامي إلى إنقاذ اليهود بواسطة اعتناق المسيحية بصورة جماعية ما يلي:

قبل سنتين تقريبًا كنت راغبًا بحل مسألة اليهود، على الأقل في النمسا، بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية. رغبتُ بأن أؤمن لنفسي، بدايةً، مساعدة أمراء الكنيسة لكي أحصل بواسطتهم على بطاقة دخول إلى البابا من أجل أن أقول له ما يلي: ساعدنا على اللاساميين، وسأؤسس حركة متعاظمة بين اليهود ينتقلون بموجبها بصورة حرّة ولطيفة إلى المسيحية، حرّة ولطيفة وفق مفهوم ينص على أن يبقى زعماء الحركة ــ وخصوصاً أنا ــ يهودًا، وبوصفهم يهودًا يبشرون بقبول الدين المهيمن. في ظهيرة يوم الأحد تخرج حملة اعتناق الديانة الجديدة إلى حيّز التنفيذ في مسيرة احتفالية على دقات قرع الأجراس في كنيسة «ستيفان». ونفعل ذلك لا على استحياء، مثلما كانت عليه حال اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية حتى هذا الوقت، وإنما من منطلق شروط افتخارية. وحيث أن الزعماء اليهود سيظلون متمسكين بيهوديتهم فإنّ ذلك سيسمو بكل الموضوع وسيضفي عليه قدرًا من الصراحة... نحن الشجعان كان ينبغي بنا أن نكون جيل الطوفان. كنا نظل متمسكين بمعتقدات آبائنا. غير أننا كنا نجعل أبناءنا الصغار مسيحيين قبل بلوغهم جيل الحسم الذاتي، في الوقت الذي اتخذ فيه موضوع اعتناق المسيحية شكلاً من الذعر أو السعي إلى التسامي نحو درجة أكثر علوًا.

يرى بويارين [٢٦] أنّ أكثر ما يشغل بال «هرتسل»، في النص المثبت أعلاه، هو «قبول» اليهود من طرف الغير، الآخر. وبكلمات أخرى محاولة تجاوز اللاسامية لا بمواجهتها وإنما بواسطة الاستحالة الذاتية، من الطراز المنشود في قراءة هذا الآخر. أما جاك كورنبرغ فإنه يؤكد أن «هرتسل» أتى بمشروع الحل هذا بعد أن توصل إلى خلاصة مفادها أنّ اللاسامية كانت محقة في أغلب ما ذهبت إليه من مواقف وأحكام بسبب مسلكية اليهود أنفسهم. ولهذا فإنه فقط من شأن إجراء متطرف، على شاكلة الاستحالة الذاتية، أن يحرز تثمين المسيحيين لأبناء مجتمعه المنحطّين والمفسودين [٢٧]. ولعل الذي جعله يصرف النظر عن هذه الفكرة/ المشروع هو أحكام الصيغة المعاصرة للاسامية التي اعتبرت انحطاط اليهود وانحلالهم سمة بيولوجية، ولهذا فإنها ليست قابلة للتغيير.

أما المقاربة المسيحية الكلاسيكية المعادية لليهود، التي رأت أن «المشكلة اليهودية» ناجمة عن رفضهم قبول ألوهة المسيح، فإنها لم تبهظ «هرتسل» البتة.

ويبدو أن اقتراحه التلفيقي بأن يبقى زعماء اليهود متمسكين بيهوديتهم جاء ليثبت للمسيحيين، بالدليل الحيّ، أنّ خطوة اعتناق المسيحية غير راجعة إلى جبانة أو وهن من طرف اليهود عامة ومن طرف زعمائهم خصوصًا، وفي مقدمتهم «هرتسل» ذاته. بينما يرى كورنبرغ في هذه الميول المتصادمة ــ نحو الاندماج، من جهة ونحو التمسك بحقوق اليهود، من جهة أخرى ــ تعبيرًا عن ثنائية متناقضة (ليست جدليةً بالتأكيد) متغلغلة عميقًا في شخصية «هرتسل».

ترى الأبحاث الجديدة أنّ «هرتسل» كان موبوءاً بداء الكراهية الذاتية لأصله اليهودي. وتمثلت هذه الكراهية الذاتية لديه، ضمن أشياء أخرى، في تذويت تنميطات كانت مألوفة في عصره حيال اليهود، مثل الادعاءات بأنهم قذرون ودونيون وغير حضاريين ومستغلون وأجلاف وجشعون

تاريخياً تراجع «هرتسل» عن هذه الفكرة في سنة ١٨٩٤. وكانت قد قوبلت بالرفض أيضاً من جانب شخصيات مسيحية مناصرة لليهود.

وثمة مجال واسع للاعتقاد بأن «هرتسل»، في دعوته إلى تجاوز اللاسامية من خلال حل تلفيقي يجعل اليهود ما ليسوا هم سعياً وراء حظوهم بالقبول لدى الغير، الآخر، لم يكن صوتًا أعزل منفردًا، فمثل هذا الأمر برز أيضاً، وإن بصياغات ذات اختلافات طفيفة، في كتابات سيغموند فرويد والفيلسوف شبينوزا، وكلاهما يهودي آري. بل إنه في فترة معينة من تلك المرحلة سكن «هرتسل» وفرويد في شارع واحد من شوارع فيينا، وهو شارع «بيرغاسي» (سكن هرتسل في رقم ٦ وفرويد في رقم ١٩). وهي الفترة التي بدأ فيها الأول يطوّر الفكرة الصهيونية بينما كتب الثاني مؤلفه المعروف «تفسير الأحلام».

* الثاني ــ في سنة ١٨٩٤ كتب «هرتسل» مسرحية «الغيتو الجديد».

هذه الوسيلة هي اكتشاف «الكرامة» اليهودية، الأمر الذي لا يمكن حدوثه بيسر في المستقبل المنظور إلا عن طريق تغذية السير صوب مكان آخر، بمعنى إضافي بواسطة العودة القهقرى إلى المجد التوراتي التليد، الخاص بالاستقلال اليهودي، وبواسطة الامبريالية. هذه العودة من شأنها أن تطبّب اليهودي لجهة إبرائه من يهوديته التي بقيت محتقرةً.

وكانت أول نتاج له يتمحور حول موتيف الخروج من تخوم الغيتو اليهودي. وقد ظلّ ما يميزه في هذا العمل تلك الثنائية المتناقضة: من جهة تجريح الذات كرد فعل على إخفاق اليهود في الاندماج داخل المجتمعات الغربية ومن جهة أخرى تمجيد الذات كمحاولة للهروب من الواقع الحقيقي الذي يحياه اليهود. غير أن الرؤيا الاستحصالية لم تتغير، وهي القبول لدى الآخر أو بكلمات أكثر دقّة التمثل به من غير توسل أو نفاق أو تلفيق. إلى هذه الدلالة ترمز المبارزة بالسيف التي تحصل في المسرحية بين بطلها اليهودي، الدكتور يعقوب صموئيل، وبين الكونت فون شرام، الارستقراطي اللاسامي وضابط الاحتياط في جيش الفروسية، التي تنتهي بموت البطل اليهودي بعد أن يستنطقه المؤلف الجملة التالية: «أريد أن أطلع خارجاً، (بصوت أعلى) خارج الغيتو»! وهكذا فإن المبارزة هنا هي الاستعارة/ المجاز الذي يعيد إلى اليهودي كرامته ويخرجه من شرنقة الغيتو لجهة قبوله في المجتمع الواسع، الغربي، وليس جاهزية هذا اليهودي لأن يخاطر بنفسه من أجل سائر المقهورين.

تعكس هذه المسرحية توجهاً جديداً لدى «هرتسل» يقوم على ضرورة مبادأة اليهود بتغيير شروط قبولهم أعضاء كاملين في المجتمع الغربي، لا الانصياع لهذه الشروط الذي وقف في صلب اقتراحه باعتناق اليهود الجماعي للديانة المسيحية. غير أنه ـ في رأي بويارين ـ توجه منطلق من الأسس ذاتها التي انطلقت منها كذلك التوجهات الشتيتة لهرتسل لمقاربة «المسألة اليهودية»، بما في ذلك التوجه الصهيوني الذي استقر عليه، في وعيه وممارساته، قبل وفاته في سنة ١٩٠٤.

هذه الأسس بالإمكان أن نجملها على الوجه التالي: مشكلة اليهود تكمن، في نظر «هرتسل»، في أنهم تحرروا من الغيتو، كينونةً ومفاهيم، متأخرًا جدًا وعلى حين غرّة ولهذا لم يكن في مقدورهم أن ينصهروا تمامًا في المجتمعات الغربية. وتبدو محاكاتهم للغرباء في غاية الوضوح والحدّة وتثير الشفقة. هنا أيضاً، شأن ما كان في كل مناسبة أخرى، لا يهرب «هرتسل» من التنميط الحصري حيال اليهودي المنصهر ولا يفارق الاحتقار الذاتي له. وها هو ذا، في خاتمة المطاف، يعثر على وسيلة لانصهار اليهود لا تكون منوطة بالحاجة الموجعة إلى قبولهم، من جانب المسيحيين، في الحياة اليومية الاعتيادية. هذه الوسيلة هي اكتشاف «الكرامة» اليهودية، الأمر الذي لا يمكن حدوثه بيسر في المستقبل المنظور إلا عن طريق تغذية السير صوب مكان آخر، بمعنى إضافي بواسطة العودة القهقرى إلى المجد التوراتي التليد، الخاص بالاستقلال اليهودي، وبواسطة الامبريالية. هذه العودة من شأنها أن تطبّب اليهودي لجهة إبرائه من يهوديته التي بقيت محتقرةً.

من حصيلة ما تقول به هذه الأسس خلص بويارين إلى الاستنتاج، الذي لا ينفرد به، بأنّ الصهيونية الهرتسلية تأسست، ضمن جملة ما تأسست عليه من أشياء، على الاحتقار الذاتي لليهود، ذلك الداء الذي قلنا في سياقة السطور السالفة إن «هرتسل» موبوء به، جملةً وتفصيلاً. وهذا ما أكده أيضاً، قبل بويارين بأكثر من مئة سنة، الكاتب المسرحي النمساوي اليهودي ارثور شنيتسلر. بعد خمس عشرة سنة على انتاج مسرحية «الغيتو الجديد» أنطق شنيتسلر الشخصية اليهودية في كتابه «الطريق إلى الحرية» بالكلمات التالية: «أنا نفسي أفلحت حتى الآن بمقابلة لاسامي حقيقي واحد فقط. وأخشى من الاعتراف بأنه زعيم صهيوني معروف جيدًا» (القصد لهرتسل بهذه الكلمات واضح).

من ناحية أخرى فإنّ ذكر الامبريالية يثبت بأنّ الصهيونية، من منظور «هرتسل»، كانت علاقة داخلية في المشروع الاستعماري الغربيّ: علاقة تفسرها الدعوة إلى إنشاء «كولونية» يهودية يكون لها علم ورموز ملازمة وتحظى باحترام في أعين العالم الذي يستهويه، وهو الغرب الاستعماري. ومشروع هذا الانشاء، الذي تضمنه كتاب «دولة اليهود»،

يمثل في هذه الحالة ذروة «التماهي مع المعتدي»!

ولئن استعنّا بمنهج باولو فيريري [٢٨] لتحليل ما تقدم ذكره نجد أن ما فعله «هرتسل»، في معرض تقديمه اقتراحات متواترة لحل «المسألة اليهودية»، كان مشدودًا إلى جذر أساسي واحد هو إدراك الواقع من خلال عين القاهر.

يتمحور منهج فيريري، المشيّد على ما يسميه «التأمل الفعّال»(المفهوم الذي يتضمن التأمل والفعل في الآن نفسه على أرضية الواقع)، حول ضرورة إذكاء الوعي الناقد للمقهورين. ويؤكد على نحو واضح أن تفكيك علاقات القهر وإعادة صياغة العلاقات التي تحكم طبقة بأخرى لا يمكن أن يحدثا أثراً فعلياً إلا إذا التزم الحالمون بإلغاء تلك البنيات على نحو يشتبك مع آليات القهر اشتباكاً مباشراً وينطلق من أرضية الواقع دون أن يكون في ذلك فرض لأيديولوجية محددة بعينها، وإنما بهدف إطلاق الملكات الإبداعية المقهورة والتخلص من العادات الذهنية التي تجبر المقهورين على إدراك واقعهم من خلال عيون قاهريهم وتغربهم عن هذا الواقع. أي أنه من غير أن تنزل النخبة من برج العموميات الثورية والصراعات السياسية إلى خصوصيات الواقع وتتأمل بنيات القهر في مجتمع بعينه وتتدخل على نحو فاعل لإعادة صياغتها، يظل الأمل في تغيير تلك العلاقات بعيداً متباعداً.

وفي بعض هذا ما يحيلنا على التفسير المنطقي لحقيقة أن «هرتسل» عندما صاغ مشروعه حول «الكولونية» اليهودية لم يتطرق البتة إلى موقعها المحدد، لكنه مع ذلك مال ناحية الأرجنتين أو أوغندا أو فلسطين لكون هذه المواقع تشغل درجة متقدمة في سلم أفضليات الكولونيالية الأوروبية. وكانت رسالته من وراء إنشاء «الكولونية» موجهة، بالأساس، من طرف اليهود أمثاله نحو يهود آخرين ومن بعد ذلك نحو مواطني البلد الأصليين الذين اعتبرهم موجودين هناك بالصدفة وليس لأنهم أهل لذلك البلد. وفي هذا تحديداً، كان يجهر بحرصه على الفوارق بين الطبقات الناجم عن موقف أشد عنصرية وهو الحرص المعرفي المرجعي الذي أفرخ حرصاً على الجهر بدونية النساء أو عدم أهلية السود أو بغض الأقليات أو احتقار الشعوب الشرقية.

هنا يجدر بنا ذكر أنه في تلك المرحلة بالذات (مرحلة الغزو الاستعماري، الذي بدأ منذ بدايات القرن التاسع عشر وامتد حتى النصف الثاني من القرن العشرين) تبلورت النزعة العنصرية ضد العرب. ويقرر «بيتر وورسلي» بهذا الصدد أنه : بانتهاء القرن التاسع عشر أصبح تفوق أوروبا الطبيعي مبدأ سارياً لا مراء فيه. وقد حكم هذا المبدأ بالانحطاط والضعة على حضارات الشرق المتنوعة، التي كانت محترمة يوماً ما.

ووصلت عنصرية بعض المفكرين الانجليز، مثل «ماكولي»، إلى حد الادعاء بأنّ «رفاً واحداً من مكتبة أوروبية جيدة يعادل كل التراث الوطني للهند والجزيرة العربية»!

في هذه المرحلة أصبحت كلمة «بدائي» سمة توصم بها شعوب العالم الملونة دون أي تمييز. وعكست العلوم الاجتماعية، في نموها، هذا التقسيم للعالم. ولم يقنع الغرب بالاستغلال الاقتصادي للعالم العربي، ولكنه ركز أيضاً على «استعمار الشخصية». وفي سبيل ذلك حرص ـ عن طريق فلاسفته وعلمائه الاجتماعيين ـ على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب وتخلفهم. ويؤكد المفكر السيد ياسين أنه في هذه الصورة سنجد العديد من الأحكام، من بينها ما قرره جورج ديهاميل، عضو الأكاديمية الفرنسية، في كتابه «حضارة فرنسا»، بأن «الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبي وعن تجاوز الذات» [٢٩].

> **وكانت رسالته من وراء إنشاء «الكولونية» موجهة، بالأساس، من طرف اليهود أمثاله نحو يهود آخرين ومن بعد ذلك نحو مواطني البلد الأصليين الذين اعتبرهم موجودين هناك بالصدفة وليس لأنهم أهل لذلك البلد.**

انسحبت هذه النظرة العنصرية حيال العرب على «هرتسل» وعلى زعماء صهيونيين آخرين منهم حاييم فايتسمان، الرئيس الأول لدولة إسرائيل. وجاءت لتعضد المهمة التي طلبت الحركة الصهيونية أن تأخذها على عاتقها نيابة عن الأمبراطورية البريطانية، وفيما بعد نيابة عن الولايات المتحدة الأميركية. وقد برزت لدى فايتسمان، لا على سبيل الحصر، في الرسالة التي وجهها إلى اللورد بلفور الانجليزي بتاريخ ١٩١٨/٥/٣٠ (بعد أن أصدر هذا وعده المشؤوم بعدة أشهر) وكتب في وصف العرب فيها ما يلي:

«العرب يفهمون بصورة سطحية ومتسرعون في أحاسيسهم. يسجدون لأمر واحد وفقط لهذا الأمر الواحد ـ القوة والنجاح... السلطات البريطانية، التي تعرف جيدًا كنه الطبيعة الخيانية للعرب، ينبغي عليها أن تراقبهم بحذر ومثابرة... كلما أفلحت السلطة في أن تكون أكثر اعتدالاً يصبح العرب غطاريس... وضع الأمور الحالي كان سيؤدي إلى إقامة دولة عربية فلسطينية لو كان هناك شعب عربي في فلسطين... وعملياً لن تتحقق نتيجة كهذه لأنّ الفلاح متخلف أربعمئة سنة على الأقل.. والأفندي مراوغ، عديم التربية، جشع، مفتقر إلى الوطنية وعديم

الجدوى».

وهكذا فإن الدراسات الجديدة حول شخصية «هرتسل» تثير عديدًا من القضايا، التي تستحق أن تحلل وتناقش بطريقة نقدية متعمقة. وما قدمته هو أمثلة محدودة من هذه الدراسات ومنطوقها. ولا أرى أنسب وأوقع من أن أختمها بهذا المثال الأخير:

يرى روبرت ويستريخ أن تواتر المشاريع من جانب «هرتسل» لحل «المسألة اليهودية»، مقايسةً بسنوات حياته (٤٤ سنة)، إنما يعبر، بصورة بليغة، عن وقوف هذا الشخص على أرض رجراجة وليست صلبة كفايتها من المواقف النظرية، ما يفتح مجالاً واسعًا للتأويل بأنّ الصهيونية كانت إحدى المحطات في أسفاره وتنقلاته العديدة، خصوصًا وأن «الفصل الصهيوني» استمر تسع سنوات فقط من حياته القصيرة التي انتهت في خضمه.

فهل كان «هرتسل»، في وقوفه على تلك الأرض الرجراجة، سيواصل السير في طريق بناء الصهيونية وتعهدها بالرعاية؟ أم أنه كان سينتهي منها وينتقل إلى «أفكار» أخرى؟.

بطبيعة الحال ثمة من حاول الإجابة عن السؤال السالف وتوصل إلى نتائج مثيرة. مهما تكن هذه النتائج فإن مكانها ليس هنا.

الهوامش والإحالات:

١- يمكن العودة إلى مصطلح اللاسامية (أو معاداة السامية) في «موسوعة السياسة». إصدار: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧. الجزء الخامس، ص٣٧٩-٣٨٣.

٢- أمنون راز- كركوتسكين: «متدينون وعلمانيون في اسرائيل - الصهيونية، الثيولوجيا وازدواجية القومية». مجلة «الكرمل»- رام الله، العدد ٥١، ربيع ١٩٩٧. ص٢٠١-٢١٥.

٣- عاموس إيلون: «حرس الحدود الأدبي». جريدة «هآرتس»، ١٩٨٢/٥/٧.

٤- ليو موتسكين (١٨٦٧-١٩٣٣) - أحد زعماء الحركة الصهيونية وحركة «هواة صهيون». أشغل، خلال الحرب العالمية الأولى، منصب رئيس مكتب مركز الهستدروت الصهيونية في كوبنهاغن، الدنمارك.

٥- روت شبيرا: «مختارات من أدب العالم»، جريدة «معاريف» ١٩٩٠/١/١٢.

٦- أربيه أهاروني: «هكذا تأثر فريشمان»، جريدة «معاريف»، ١٩٩٥/٤/٧.

٧- أهارون ميغد: «غريزة الانتحار الإسرائيلية»، ملحق جريدة «هآرتس»، ١٠/ ١٩٩٤/٦.

٨- أمنون روبنشطاين: «تشويه الصهيونية»، جريدة «هآرتس»، ١٩٩٥/٩/١٢.

٩- الدكتور عزيز العظمة: «الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية- مقدمة في أصول صناعة التأريخ العربي». دار الطليعة- بيروت، ١٩٩٥، الطبعة الثانية.

١٠- «موسوعة السياسة»، مصدر سبق ذكره، الجزء الخامس، ص ٣٨٣.

١١- المصدر نفسه، الجزء السابع، ص١٠٧.

١٢- ليو (يهودا ليف) بينسكر (١٨٢١-١٨٩١) - زعيم حركة «هواة صهيون» في روسيا. نشر في ١٨٨٢ كتيب «التحرير الذاتي» غفلاً عن أي توقيع ودعا فيه إلى منح وطن خاص لليهود لحل مشكلة اللاسامية.

١٣- موشيه هس (١٨١٢-١٨٧٥) - مفكر يهودي ألماني وأحد دعاة الفكرة الصهيونية الاشتراكية. مات في باريس التي كان لاجئاً سياسياً فيها منذ ١٨٥٣.

١٤- صبري جريس: «تاريخ الصهيونية- الجزء الأول ١٨٦٢-١٩١٧»، القدس ١٩٨٧، ص١٤٣-١٩٤.

١٥- روبرت ويستريخ: «صهيونية هرتسل بين الأسطورة واليوتوبيا»، دراسة ضمن كتاب «الأسطورة والذاكرة- استحالات الوعي الإسرائيلي». إعداد وتحرير: دافيد أوحانا وروبرت ويستريخ. إصدار: معهد فان لير في القدس ومنشورات هكيبوتس همئوحاد في تل أبيب، ١٩٩٦، ص١١١-١٣٥.

١٦- دانيئيل بويارين: «حفلة التنكر الكولونيالية: الصهيونية، الجنسوية والمحاكاة»، مجلة «نظرية ونقد»، معهد فان لير في القدس ومنشورات هكيبوتس همئوحاد في تل أبيب، العدد ١١، شتاء ١٩٩٧، ص١٢٣-١٤٤.

١٧- مئير شنيتسر: «عندما التقى تيدي مع فيلي»، جريدة «معاريف»، ١٠/٢٤/ ١٩٩٧.

١٨- عاموس كينان: «ساعة صهيون- زمان هرتسل»، جريدة «يديعوت أحرونوت». ١٩٩٢/١٢/٢٥.

١٩- نشر روبرت ويستريخ دراسته، كما اسلفت، ضمن كتاب «الأسطورة والذاكرة: استحالات الوعي الإسرائيلي»، إعداد وتحرير: دافيد أوحانا وروبرت ويستريخ، الذي سبق ذكره. كذلك استعنت بفحوى مقابلة مع ويستريخ أجراها أورن مايرس ونشرت في مجلة «توءار» (لقب) الصادرة عن خريجي الجامعة العبرية في القدس. العدد ٣، نيسان ١٩٩٧.

٢٠- دانيئيل بويارين: «حفلة التنكر الكولونيالية: الصهيونية، الجنسوية والمحاكاة». مصدر سبق ذكره.

٢١- المصدر نفسه، ص ١٢٥.

٢٢- شلومو أفنيري: «ليس درايفوس»، جريدة «هآرتس»، ١٩٩٨/٤/٢٩.

٢٣- روبرت ويستريخ: «صهيونية هرتسل بين الأسطورة واليوتوبيا»، مصدر سبق ذكره، ص١١٧.

٢٤- مقابلة مع ويستريخ أجراها أورن مايرس، مصدر سبق ذكره.

٢٥- أورده روبرت ويستريخ: «صهيونية هرتسل بين الأسطورة واليوتوبيا»، مصدر سبق ذكره، ص١٢٤.

٢٦- دانيئيل بويارين: «حفلة التنكر الكولونيالية:...»، مصدر سبق ذكره.

٢٧- المصدر نفسه.

٢٨- باولو فيريري (١٩٢١-١٩٩٧) - فيلسوف تربوي برازيلي أسس نظرية في مجال التعليم تقوم على اعتبار التعليم وسيلة مباشرة من أجل التدخل لصالح المقهورين ضد قاهريهم في المجتمعات الظالمة. وقد وردت في كتابه الأساسي «تعليم المقهورين» الذي أنجز ترجمته إلى اللغة العربية وقدّم له الدكتور يوسف نور عوض، وصدر عن دار القلم في بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠.

٢٩- السيد ياسين: «الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر». دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١.